شرح القواعد الأربع

تصنيف الإمام

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

ت ١٢٠٦ رحمه الله رحمة واسعة

أملاه فضيلة الشيخ

حمد بن عبد العزيز العتيق

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

hamadalateq1

hamadalateq

القناة الرسمية للشيخ حمد بن عبد العزيز العتيق

شرح

القواعد الأربع

تصنيف الإمام

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

ت ١٢٠٦ رحمه الله رحمة واسعة

أملاه فضيلة الشيخ

محمد بن عبد العزيز العقيل

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

شرح

القواعد الأربع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فهذا شرح بين المختصر والمطول، لرسالة عظيمة مباركة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وهي رسالة القواعد الأربع، كنت قد أمليته -بفضل الله- في جامع الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمدينة خورفكان، التابعة لإمارة الشارقة، بدولة الإمارات العربية المتحدة، حرسها الله، في يوم السبت الموافق الحادي عشر من شهر رمضان لعام أربعٍ وثلاثين وأربعمِئة وألف من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، فقام الابن المبارك عبد الرحمن بن إبراهيم وادي -حفظه الله- بنسخها وتجهيزها للطباعة، فنظرت فيها فعدلت ما يحتاج إلى تعديل يناسب مقام التأليف بحسب جهدي، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أسأل الله أن يجزي الابن عبد الرحمن خير الجزاء وأن يبارك فيه ووالديه واخوانه، وأسأله سبحانه أن يجعل هذا الشرح زاداً لنا إلى الآخرة، وأن يأمننا به من كل خوف، ويهدينا به من كل فتنة وضلال، إنه على كل شيء قدير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

حمد بن عبد العزيز العتيق

خطيب جامع متعب السبيعي بالرياض

1441/8/15هـ الموافق 2020/4/8م

الشرح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد :

أولاً: مميزات متن القواعد الأربع .

تميز هذا المتن بما يلي:

أولا: اختصاره .

ثانياً: سهولة عبارته فيفهمه طالب العلم والعامي .

ثالثاً: أنه حوى الكثير من الأدلة مع اختصاره .

رابعاً: أنه بين معنى التوحيد الذي بعث به الرسل عليهم الصلاة والسلام، بياناً شافياً ، بأدلة الكتاب والسنة .

ثانياً: سبب تسمية هذه المتن بالقواعد الأربع:

لأنها حوت أربع قواعد في بيان التوحيد ، وبيان ضده وهو الشرك .

ثالثاً: أقسام الكتاب:

قسم المؤلف هذه الكتاب إلى قسمين :

القسم الأول هو : المقدمة (وجعل فيها تمهيداً من عدة مسائل، يشد المتعلم إلى ما بعده . . ومنها أنه بين خطر الشرك وأهمية التوحيد) .

القسم الثاني هو: صلب الكتاب ولب الكتاب (فبعد أن بين الإمام أهمية التوحيد وخطر الشرك يتبادر سؤالٌ: ما التوحيد الذي عرفنا فضله؟ وما الشرك الذي عرفنا خطره؟ فجاء المؤلف بالقواعد الأربع التي تبين ذلك بياناً شافياً).

وقد قسم المؤلف أيضاً صلب الكتاب إلى قسمين:

القسم الأول: المقدمات، وهي القواعد الثلاث الأولى.

والقسم الثاني: النتيجة، وهي القاعدة الرابعة.

رابعاً: سبب تأليف هذه الرسالة:

ألف المؤلف هذه الرسالة –والله أعلم– لبيان معنيين:

1: معنى عام: وهو بيان توحيد الألوهية وبيان الشرك في الألوهية.

2: معنى خاص: أراد فيه المؤلف أن يبين أن ما يقع في زماننا من الذبح والنذر والاستغاثة بالأولياء والصالحين هو نفس الشرك الذي كان في زمان النبي صلى الله عليه وسلم.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

أَسْأَلُ اللهَ الْكَرِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَتَوَلاكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ. فَإِنَّ هَؤُلاءِ الثَّلاثُ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ.

- شرع الشيخ في المقدمة فبدأ بالدعاء للمتعلم بأن يجعله الله مباركا و أن يجعله ممن إذا أعطي شكر و إذا أذنب استغفر و إذا ابتلي صبر نسأل الله أن يتقبلها فينا ، ثم ذكر عدة مسائل .

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

إعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ: أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ، وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: 56] .

- المسألة الأولى : معنى الحنيفية

والحنيفية مشتقة من الحنف وهو الميل . . وسمي التوحيد بهذه الإسم لأنه ميلٌ عن الشرك و إقبالٌ إلى التوحيد و قد عرفها المؤلف بقوله : أن تعبد الله مخلصاً له الدين .

ثم ذكر الدليل على عبادة الله تعالى وهو قوله تعالى : "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" .

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّ الْعِبَادَةَ لا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلا مَعَ التَّوْحِيدِ ، كَمَا أَنَّ الصَّلاَةَ لا تُسَمَّى صَلاَةً إِلا مَعَ الطَّهَارَةِ،

- المسألة الثانية : بين المؤلف أهمية التوحيد وذلك بأن بين أنه شرط قبول العبادة . .

ولم يذكر المؤلف الشرط الثاني وهو المتابعة من باب الإقتصار على المراد من هذه الرسالة وهو "بيان التوحيد" .

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

فَإِذَا دَخَلَ الشِّرْكُ فِي الْعِبَادَةِ فَسَدَتْ، كَالْحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَة، فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ الْعِبَادَةَ أَفْسَدَهَا، وَأَحْبَطَ الْعَمَلَ، وَصَارَ صَاحِبُهُ، مِنَ الْخَالِدِينَ فِي النَّار. عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ، وَهِيَ الشِّرْكُ بِاللهِ الَّذِي قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء: 116].

- المسألة الثالثة : بين المؤلف خطر الشرك و مراده بالشرك في هذه الرسالة "الشرك الأكبر في الألوهية" وهو: صرف العبادة لغير الله تعالى، وقد ذكر المؤلف للشرك أربعة أخطار:

الخطر الأول: أنه يفسد العبادة التي دخل فيها ، من قوله: "فَإِذَا دَخَلَ الشِّرْكُ فِي الْعِبَادَةِ فَسَدَتْ"

الخطر الثاني: أنه يحبط جميع الأعمال الصالحة، من قوله: "وَأَحْبَطَ الْعَمَلَ" .

و الفرق بين الأول و الثاني : أن الأول يخص العبادة التي دخل فيها . و أما الثاني : فإنه يعم جميع العبادات حتى العبادة التي لم يشرك فيها . (كما قال تعالى : ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) .

الخطر الثالث: أن صاحبه إذا مات عليه فإنه يخلد في النار، من قوله: "وَصَارَ صَاحِبُهُ، مِنَ الْخَالِدِينَ فِي النَّار" .

الخطر الرابع: أن صاحبه إذا مات عليه فإنه لا يغفر له، من قوله: "الشِّرْكُ بِاللهِ الَّذِي قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾" .

فإذا عرف المسلم ذلك عرف أن أهم ما عليه معرفته أن يعرف التوحيد الذي بعث الرسل بالدعوة إليه، والشرك الذي بعث الرسل بالنهي عنه والتحذير منه، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله في كتابه .

وبهذا يكون المؤلف قد انتهى من المقدمة وسيشرع في صلب الكتاب، بذكر القواعد الأربع .

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله:

وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ .

الْقَاعِدَةُ الأُولَى: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى -هُوَ الْخَالِقُ، الْمُدَبِّرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الإِسْلامِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: 31] .

- ولا يكون ذلك إلا بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله في كتابه .

القاعدة الأولى : وهي المقدمة الأولى أن الإيمان بربوبية الله وهي : أفعاله الخاصة به كالرَّزق و الملك و الإحياء و الإماتة و التدبير .

فالإيمان بأفعال الله الخاصة فقط لا يُدخل في الإسلام ولا في التوحيد المنجي من الكفر، ولا يمنع صاحبه من أن يكون مشركاً وكافراً ، والدليل على ذلك: أن المشركين الأوائل كانوا يُقرُّون بربوبية الله تعالى ولم يدخلهم ذلك في الإسلام و التوحيد، كما قال تعالى : "أمن يرزقكم من السماء و الأرض"، أي: من الرازق .

وقال: "أمن يملك السمع و الأبصار" ، أي: من المالك .

وقال: "ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي" ، أي: من المحيي و المميت .

وقال: "ومن يدبر الأمر"، أي: من المدبر .

"فسيقولون الله" ، أي: سيعترفون ويقرون: إن الله تعالى هو الفاعل .

فإذا كان الإقرار و الإيمان بربوبية الله تعالى دون إفراد الله بالعبادة، لم ينفع المشركين المتقدمين فلن ينفع المشركين المتأخرين .

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله:

الْقَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ:

أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ، فَدَلِيلُ الْقُرْبَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: 3] . وَدَلِيلُ الشَّفَاعَةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ ﴾ [يونس:18] .

وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ .

فَالشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ اللهِ فِيمَا لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إلا اللهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة:254] .

وَالشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ: هِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللهِ، وَالشَّافِعُ مُكَرَّمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالْمَشْفُوعُ لَهُ مَنْ رَضِيَ اللهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الإِذْنِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: 255] .

– القاعدة الثانية : وهي المقدمة الثانية أن اعتذار المشركين المتقدمين حين صرفهم العبادة لغير الله بـ:

1– طلب القربى من الله، كما قال تعالى : "والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى" .

2–طلب شفاعة الصالحين، كما قال سبحانه : "ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله" .

فاعتذارهم بهذين العذرين أو أحدهما ، لم ينفعهم عند الله ولم يمنعهم من أن يكونوا مشركين وكفاراً .

فإذا كان هاذان العذران لم ينفعا المشركين المتقدمين فإنهما لن ينفعا المتأخرين .

وبعد أن بين المؤلف عدم فائدة هذين العذرين، انتقل لبيان شبهة طلب شفاعة الصالحين، التي هي من أكبر شبه المشركين قديماً وحديثاً ، فبين رحمه الله أقسام الشفاعة:

القسم الأول : الشفاعة المنفية ، وسميت بذلك لأن الأدلة الشرعية نفتها وهي الشفاعة التي دخل فيها الشرك .

وضابطها : أن تتضمن إضافة أمرٍ خاص بالله لغير الله كطلب الشفاعة من الغائبين لأن من يطلبها من الغائبين لا بد أن يعتقد فيهم أنهم يسمعون كل من طلب منهم على كثرة الطالبين واختلاف ألسنتهم وتباعد أقطارهم، وهذه لا يقدر عليه إلا الله .

القسم الثاني : الشفاعة المثبتة ، وسميت بذلك لأن الأدلة أثبتتها .

وضابطها : كل شفاعةٍ لم تتضمن إضافة أمرٍ خاصٍ بالله إلى غير الله بعد إذن الله للشافع ورضاه عن المشفوع له .

ومثالها : طلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة .

وما يفعله المشركون قديماً وحديثاً هو من القسم الأول وهي الشفاعة الشركية، التي تتضمن أموراً خاصة بالله، فجعلوها للأولياء والصالحين، فهم يطلبون الشفاعة من الغائبين، ويعتقدون أن هؤلاء الأولياء يسمعون كل من دعاهم، ولو كانوا الداعون

كل من على الأرض، ويستطيعون أن يميزوا حاجاتهم ولغاتهم على تفرق أقطارهم وبعد مسافاتهم، وهذا كله خاص بالله لا يقدر عليه إلا الله.

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله:

القَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ:

أَنَّ النَّبِيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ظَهَرَ عَلَى أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْمَلائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَشْجَارَ وَالأَحْجَارَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال: 39]. وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت: 37]. وَدَلِيلُ الْمَلائِكَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿ وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا . . . ﴾ الآية [آل عمران: 80]. وَدَلِيلُ الأَنْبِيَاءِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ الآية [المائدة: 116]. وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ . . . ﴾ الآية [الإسراء: 57]. وَدَلِيلُ الأَشْجَارِ وَالأَحْجَارِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾ [النجم: 19، 20]. وَحَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ، يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. الحَدِيثَ.

-القاعدة الثالثة : وهي المقدمة الثالثة، وحاصلها : كل ما ثبت أنه عبادة فصرفه لغير الله شركٌ أكبر، ولا فرق في ذلك بين من صرفها للأولياء و الصالحين وبين من صرفها لغيرهم كالأحجار و الأشجار و الشمس و القمر و الجن و الشياطين.

والدليل على ذلك : أن النبي صلى الله عليه وسلم بُعث إلى قومٍ يعبدون الصالحين، و يعبدون غيرهم، فلم يفرق النبي صلى الله عليه و سلم بين من يعبد الصالحين و بين من يعبد غيرهم بل كفرهم جميعاً و قاتلهم جميعاً .

وذلك أن المشركين في زماننا يفرقون بين دعاء الأصنام والأوثان والاستغاثة والذبح والنذر لهم، وبين دعاء الأولياء والصالحين، والاستغاثة والذبح والنذر لهم، فيقولون: إن الأول شرك بالله، ويزعمون أن الثاني تقرب لله، فرد عليهم الشيخ رحمه الله من وجهين:

1-إذا كان الدعاء والاستغاثة والذبح والنذر عبادة لله، وصرفه للأصنام والأوثان شرك بالله، فكذلك صرفه للأولياء والصالحين شرك بالله لأن العلة واحدة وهي صرف العبادة لغير الله .

2-أن بعض المشركين الأوائل كانوا يذبحون وينذرون ويستغيثون ويدعون الأولياء والصالحين، فكفرهم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولم يفرقوا بينهم وبين من يذبحون وينذرون ويستغيثون ويدعون الأوثان والأصنام، والأدلة على أن بعض المشركين الأوائل كانوا يعبدون الصالحين، كثيرة، ومنها :

1- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ والذي يتصور أنه يقرب إلى الله هو الولي الصالح .

2-قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ ﴾ والذي يتصور أنه سيشفع عند الله هو الولي الصالح .

3–قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿ وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَاباً . . . ﴾الآية[1]، وقوله تعالى: "وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاء إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ" [سبأ: 40–41]. والملائكة والنبيون هم أعظم الأولياء والصالحين.

4–قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾، وعيسى وأمه عليهم الصلاة والسلام من أعظم الأولياء والصالحين.

5–قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ . . . ﴾الآية، قال ابن سعدي رحمه الله: " قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾ من الأنبياء والصالحين والملائكة ﴿ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ أي: يتنافسون في القرب من ربهم ويبذلون ما يقدرون عليه من الأعمال الصالحة المقربة إلى الله تعالى وإلى رحمته، ويخافون عذابه فيجتنبون كل ما يوصل إلى العذاب" .ا.هـ، والمعنى أن الله ينكر على المشركين عبادة الصالحين الذين كانوا يوحدون الله ويعبدونه ويتقربون إليه وحده لا شريك له، فإن كنتم تريدون أن تصلوا لما وصلوا إليه فافعلوا ما كانوا يفعلونه وهو إفراد الله بالعبادة والتقرب له بأنواع العبادات.

6–قول الله تعالى: "وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا [نوح: 23]. روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها: "صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد أما ود كانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع كانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجوف، عند سبإ، وأما يعوق فكانت لهمدان،

---

[1] –هذه الأية في اتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً، فقد يقول قائل ما علاقتها باتخاذ الملائكة والنبيين آلهة يعبدون مع الله؟ والجواب أن من اتخذهم أرباباً لزمه أن يتخذهم آلهة من دون الله، لأنه الربوبية يلزم منها الألوهية، كما هو مقرر في غير هذا الموضع.

وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم، أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت" .

وبهذا يكون المؤلف قد أنهى الكلام عن المقدمات الثلاث و تأتي بعدها النتيجة وهي القاعدة الرابعة .

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله:

الْقَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ:

أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنَا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِينَ، لأَنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ، وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ، وَمُشْرِكُو زَمَانِنَا شِرْكُهُمْ دَائِمٌ فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ؛

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: 65] . وَاللهُ أَعْلَمُ. وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

القاعدة الرابعة : هي النتيجة للقواعد الثلاث الأولى: وحاصلها : إذا علمنا أن الإيمان بأفعال الله الخاصة به (وهي ربوبيته) لا يكفي للدخول في الإسلام ولا يمنع صاحبه من أن يكون مشركاً و كافراً، ثم علمنا أن الاعتذار حين صرف العبادة لغير الله بطلب القربى و الشفاعة لا ينفع صاحبه، ثم علمنا أن صرف العبادة كالذبح و النذر و الدعاء للأولياء و الصالحين شرك أكبر، كصرفها لغيرهم من الأحجار و الأشجار، إذا علمنا ذلك كله، علمنا علم اليقين: أن مُا يفعل في زماننا من الذبح و النذر و الإستغاثة بالأولياء والصالحين كالنبي صلى الله عليه وسلم وعلي والحسن والحسين وفاطمة رضي الله عنهم، والبدوي أو عبد القادر أو البَرعي ما يفعل لهؤلاء من الذبح والنذر والاستغاثة والدعاء، هو نفس الشرك الأكبر الذي كان في زمان النبي صلى الله عليه وسلم، وقبل زمانه عليه الصلاة والسلام، بل إن المشركين في زماننا أشد شركاً من الأولين فإن الأولين كانوا

يشركون في الرخاء ويوحدون في الشدة كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ الآية، وأما مشركو زماننا فشركهم دائم في الرخاء والشدة والعياذ بالله.

وبهذا نكون –بفضل الله– قد أنهينا الكلام عن هذه الرسالة المباركة، في جامع الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمدينة خورفكان بدولة الإمارات العربية المتحدة، حرسها الله، في يوم السبت الموافق الحادي عشر من شهر رمضان لعام أربعٍ وثلاثين وأربعمئة وألف من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم..

نسأل الله عز وجل أن يجعله زاداً لنا إلى الآخرة، وأن يأمننا به من كل خوف، ويهدينا به من كل فتنة وضلال، إنه على كل شيء قدير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.